MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 29-12-92
Photo No. : 4

"منطقة عازلة" وشعب أعزل

قبل سنوات، كتب محمود درويش نصا شديد المرارة بعنوان "مطار اثينا" يصف فيه تيه الفلسطيني المطرود من ارضه والمنبوذ من هنا وهناك. لم يكن محمود درويش يبالغ، ولم يكن "مطار اثينا" مجرد استعارة. فكثيرة هي الحالات التي تعرض فيها احد الفلسطينيين الى اخذ ورد بين مطار ومطار. وما هو مطار اثينا يتوسع اليوم فينتقل الى "المنطقة العازلة" على ابواب الجزء المحتل من جنوب لبنان ويضم، ليس فردا من الفلسطينيين فحسب، وانما جمهرة منهم.

قد يكون في هذا التشبيه شيء من التجاوز. فالدولة اللبنانية تبني رفضها استقبال المبعدين على مبدأ جوهري لا يخالفها فيه احد بل توافقها عليه منظمة التحرير الفلسطينية، فضلا عن المبعدين انفسهم، وهو مبدأ رفض سياسات الطرد الاسرائيلية. لكن صحة المبدأ لا تكفي لتبديد شبح "مطار اثينا". على العكس من ذلك، يترافق القرار اللبناني مع اجواء قل ما يقال فيها انها لا تعبر عن اي تضامن مع المبعدين. اذ يلفت في كلام المسؤولين مقدار القساوة الذي ينطوي عليه، وهي قساوة تبدو موجهة ضد الفلسطينيين، اكثر مما هي موجهة ضد اسرائيل. وما يلمح به المسؤولون تقوله صراحة بعض الابواق الاعلامية التي تذهب الى شحن الاجواء ضد الفلسطينيين تحت ستار الدفاع عن "السيادة".

لا يفهم من هذا الكلام انه يجب القبول بالطرح الاسرائيلي القائل بان الكرة اصبحت في ملعب الفريق اللبناني وتاليا الاقرار بالامر الواقع. ويبقى التمسك بمبدأ رفض الابعاد افضل السياسات، بشرط الا تنحرف تلك السياسة لتجعل الضحية مسؤولة عن محنتها. والحق ان الوضع اللبناني، الذي ما زال مشحونا بالمشاعر المعادية للفلسطينيين، يتقبل مثل هذا التحويل. ولعل اسطع برهان على ذلك الطريقة التي تتعامل بها اكثر من جهة رسمية وغير رسمية ومسألة التوطين.

منذ ان دخلت كلمة "التوطين" الى قاموس السياسة اللبنانية، حوّلها الوعي السطحي السائد تهمة تنسب تلميحا او تصريحا الى الفلسطينيين واحيانا الى منظمة التحرير الفلسطينية نفسها. وتتغافل هذه القراءة الملتبسة التي ما زالت تحرك العديد من الافراقاء ومن اكثر من طائفة، ان التوطين لو حصل فانه لا يقوم الا على انقاض المنظمة وبعد تحطيم الطموحات الوطنية الفلسطينية.

بيد ان هذا الالتباس ليس بريئا على الاطلاق، اذ تفيد تجارب الحروب الماضية ان التهويل من خطر التوطين كان دوما مدخلا الى تصعيد ينتهي بضرب الفلسطينيين في لبنان. وعليه، يخشى ان يؤدي شحن الاجواء الراهن الى تبرير عمل ما يحضر ضد الوجود الفلسطيني المدني.

ولا بد من القول هنا ان هذا النمط الغريب في "مقاومة" التوطين والتقسيم" كما يقولون، قائم منذ الآن. وهو يتجسد في الحصار الذي ما زال مضروبا على المخيمات الفلسطينية في بيروت والجنوب، في ظل صمت اعلامي مريب ويتجسد ايضا في المضايقات التي يتعرض لها الفلسطينيون (المسجلون رسميا لدى وكالة الغوث) في ممارسة اعمالهم. وقد بلغت هذه المضايقات حدا يدفع الى التحدث عن اضطهاد منظم، بكل ما للكلمة من معنى، بحيث يصبح الافق الوحيد المفتوح امام الفلسطيني، خصوصا اذا كان صاحب كفاية، الهجرة النهائية الى احدى الدول الاوروبية او الاميركية. ولا يخفى على احد ان العديد من الدول الاجنبية، بما فيها الاكثر تعاطفا مع اسرائيل صار يبدي استعدادا لاستقبال المهاجرين الفلسطينيين.

بهذا نكون في صدد الحل الناجع لمشاكلنا: ليس حل معضلة التوطين فحسب، وانما حل مسألة اللاجئين برمتها. وغدا، بمشيئة الله والاخوة العرب، حل القضية الفلسطينية بعد ان صار يؤمل ان ينتفي وجودها عن طريق الاستمرار بتفتيت شعب اعزل في كل المناطق المعازلة.

سمير قصير